فهرست الكتاب

	صفحة
مقدمة الكتاب	٣
نشأة الطباعة والصحافة فى الشرق الأدنى	٥
محمد على الكبير	١٠
الخديو اسماعيل	١٩
رفاعة رافع الطهطاوى	٢٨
أحمد فارس الشدياق	٣٦
بطرس البستانى	٤٤
يعقوب بن صنوع	٥٠
محمد عبده	٦٨
خليل سركيس	٨٠
شاكر شقير	٨٦
يعقوب صروف	٩١
ابو السعود والمويلحى	٩٩
آل تقلا	١٠٧
أديب اسحق	١١٦
عبد الله النديم	١٢٥
على يوسف	١٣٠
مصطفى كامل	١٣٨
مراجع البحث	١٤٥
ثبت الأعلام	١٥٣
المؤلف	١٥٨

أحمد فارس الشدياق

نشأ الشدياق فى لبنان ، من أسرة لها قدرها ومكانتها فى خدمة العلم والأدب ، ولها تاريخها فى خدمة لبنان وسياسته العامة ، وهى أسرة امتاز بعض أعضائها بالحرص على اقتناء أمهات الكتب حتى كان منهم صاحب « المكتبة الشرقية » المعروفة وكان منهم البطارقة المؤارنة ، ورجال الدين فى القرون الماضية أهل العلم وأصحاب الرأى عند العامة ورجال السلطان على السواء .

ولد أحمد فارس الشدياق فى سنة ١٨٠٤ ليكون عالم أسرته وفخر عروبته وعلماً فى صحافة الشرق تزهو به أمته ، وقد مضى فى مراهقته مكباً على دراسة الآداب العربية والسريانية فى لبنان ، ثم استكمل مراهقته إلى مطلع شبابه فى مصر حيث مضى يطالع صحاح الجوهرى وديوان المتنبي ، ووصل حباله برفاعة الطهطاوى بعد عودته من باريس ، فآنس أستاذ الصحافة المصرية فى هذا الشاب كفاية بهرته فضمه إلى معاونته فى تحرير الوقائع المصرية وكان ذلك أول عهده بالصحافة والصحفيين ، إذ قضى فى مدرسة الصحافة المصرية ردحاً من الزمن شغل بالإنشاء والمراجعة على التحرير ، وكان فى الوقائع متصلا بالطهطاوى اتصال التلميذ بالأستاذ سواء فى عمله الرسمى أو فى قراءة آداب العرب عليه .

وأحس الشرق الأدنى وجود هذا الشاب وهو لم يستكمل بعد الثلاثين من عمره فدعاه المرسلون الأمريكيون إلى جزيرة مالطة حيث كان لهم نشاط مطبعى يعوزهم رجل فنى قادر على إنجازه ، فأقام صحفينا أربعة عشر عاماً يدير مطبعتهم ويصحح مطبوعاتهم ويعلم فى مدارسهم ، وكان شديد الصلة بهم حتى

بطرس البستانى

من أسرة لبنانية لها على الزمن فضل مأثور ، تلقى مبادىء اللغتين العربية والسريانية على أحد أبناء أسرته هو ميخائيل البستانى ، وأحس مطران صور وصيدا أن هناك فتى تفرد بالذكاء وامتاز بالفطنة والاجتهاد فدعا إليه المترجم وبعث به إلى مدرسة عين ورقة بلبنان ، فأمضى فيها عشر سنوات درس فيها اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وجود فى اللغات السريانية واللاتينية والايطالية ، وتلقى بجانب هذه الدراسات الأدبية الفلسفة واللاهوت وبعض مبادىء القانون ، وكاد المترجم يقف حياته على دراسه اللاهوت ويمضى فى روما عدة سنوات لولا معارضة أسرته فعين فى مدرسته أستاذاً ودرس لحسابه اللغة الانجليزية واعتمد عليه الانجليز مترجما لهم يوم نزلت جيوشهم الشآم لحرب ابراهيم باشا ومكافحة محمد على فى تلك الربوع ، وانتهت هذه الفترة من حياته باتصاله بالأمريكان الناشرين لمذهبهم فمضى يعلمهم اللغة العربية ويترجم بعض كتبهم ، وتوثقت علاقاته بهم وآمن باتجاههم الدينى فدخل فى مذهبهم وعمل على نصرته .

وفى سنة ١٨٤٧ شارك أستاذه الدكتور فان ديك فى إنشاء مدرسة عمل فيها أستاذاً ، ثم مضى خلال عامى تدريسه يؤلف كتابا ضخما فى الحساب كان له قدره فى مدارس سورية ولبنان ، ثم نزل البستانى مدينة بيروت موظفاً فى قنصلية أمريكا ، غير أنه وقف معظم وقته على الترجمة والوعظ وتمكن هنا من اللغتين العبرية واليونانية ، فاستعان به بعضهم فى ترجمة التوراة إلى العربية .

يعقوب بن صنوع

يمتاز شكلا بهذه العوينات الزرقاء التى لم تفارقه فى مصر حيث ولد ونشأ ، أو فى منفاه حيث استقر به المطاف ، وصحبته منذ بدأ عمله فى التمثيل ، ثم مضت معه حين انتقل إلى الصحافة ، وبقيت تلازمه حتى وافاه أجله فى القرن العشرين .

هو كاتب من طراز آخر غير ما عرف به الصحفيون فى عصر اسماعيل ، ناقد مر النقد ، قاس فى أسلوبه وفى حواره ، يطلق قلمه دون أن يتقيد بقانون أو يخاف حاكما ، أو يشعر أن للمناقشة حدوداً أو آداباً ، عرفه عصره كله بجميع طبقاته من الأسرة المالكة إلى أسر الفلاحين فى قلب الريف ، ولم تشهد الصحافة المصرية قلماً حمل على الخديوين والانجليز كما حمل يعقوب بن رافائيل صنوع (أى المتواضع) ، وهو مصرى إسرائيلى ولد سنة ١٨٣٩ ، أتقن التوراة وقرأ الانجيل والقرآن ، وتعلم فى إيطاليا على نفقة أحمد باشا يكن سبت محمد على الكبير ، ثم عاد إلى مصر وأخذ يدرس اللغات والموسيقى والرسم لأفراد الأسرة الخديوية وأبناء الباشوات[1] .

وفى سنة ١٨٧٠ أنشأ صنوع أول مسرح عربى فى القاهرة ووضع بذلك تاريخ إنشاء المسرح فى مصر ، وأعجب به الخديو اسماعيل إعجاباً دعاه إلى أن يسميه — إذا ذكر التمثيل — « موليير مصر » ، ومنحه المنح وأمده بالعون الأدبى فحضر فصول تمثيله تشجيعاً منه وتزكية له . وقد ألف المترجم نحواً من

---

(١) l'Egypte Satirique. Paul Baignières. Album d'Abou Naddara. ص ٦ طبعة سنة ١٨٩٦

محمد عبده

لم يكن الشيخ محمد عبده إماماً فى مسائل القضاء والدين فحسب ، بل كان إماماً فى كثير من وظائف الحياة الرفيعة ، وكان يراه بعض معاصريه سابقاً لزمنه ، وكانوا يعتبرونه — بالرغم من عمامته — مقارناً ومشابهاً لكثير من فلاسفة الفرنجة وأصحاب الرأى فيهم .

وإذا كان شيخنا إماماً فى الأزهر أو فى مجلس شورى القوانين أو فى وظيفة الافتاء ، فهو أيضاً إمام له قدره وخطره فى تاريخ الصحافة المصرية ، ويؤثر عن نشاطه أنه كان من أحب الناس إلى جمال الدين الأفغانى الفيلسوف المعروف ، وأنه كان تلميذه المحبب إلى نفسه القريب إلى قلبه ، وأنه لم يفوت جلسة من جلسات الأفغانى إذا حاضر أو ناقش ، وأن شيخنا كان قادراً على فهم ما يقوله أستاذه الأفغانى ، فتولى كتابة ملخصات لمحاضرات أستاذه فى صحف ذلك العصر ، وقد عرفه قراء الصحف فى هذه الناحية من النشاط الفكرى عن طريق جريدة (مصر) سنة ١٨٧٩ لصاحبها أديب إسحق وكانت تلك الصحيفة ميداناً لأفكار الأفغانى ومريديه فى مدينة الأسكندرية ، وقد قدم الشيخ محمد عبده لهذه الملخصات بقوله : « من الواجب قياماً بالخدمة الإنسانية أن أودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها ، وأنشر طيب وفدها فى صحف الجرنالات لتعم الفائدة والله ولى التوفيق » ، وقال مقدماً لموضوع آخر من الموضوعات التى حاضر فيها الأفغانى عن فلسفة التربية ، « ولما فيه من عظم الفائدة رغبت فى نشره فى الجرائد الوطنية تعميما للفوائد ، وبياناً لما انطوى عليه من حسن المقاصد . . . »[1] وهو ينشر لنا ذلك كما كان

---

(١) راجع جريدة مصر شهر يونيه سنة ١٨٧٩

خليل سركيس

سنلقى فى هذا العرض لأعلام الصحافة العربية بمجموعة من الشخصيات اللبنانية الممتازة ، كتبت بجهادها صحيفة رائعة فى التاريخ الصحفى للشرق الأدنى ، وقد اختص لبنان دون ولايات الدولة العثمانية الأخرى بنشاط أدبى وصحفى ملحوظين ينافسان بقدر ما كانت عليه مصر فى عهد الخديو اسماعيل من تقدم فكرى رائع .

ويرى كثير من المؤرخين لهذا النشاط أن لبنان كان أسبق بلاد السلطان وعياً للحياة السياسية حتى إنه كان أسبق الدويلات ثورة على النظم التى فرضتها تركيا ، وكان قيام الصحف بين سكانه مدعاة إلى هذه الثورة ، ولم يستطع كثير من رجال الفكر اللبنانيين أداء رسالتهم الصحفية وسط ضغط الحكومة وقسوتها فهاجروا إلى مصر حيث لقيهم الخديو اسماعيل لقاء حسناً ، فمد لهم فى رحابه ، وأعانهم بماله وجاهه ، أما من بقى منهم فى لبنان فواحد من اثنين إما أغلق صحفه وطوى قلمه ، أو لاين وساس الأمور بحكمة وروية فاستطاع إلى الحياة الأدبية والصحفية سبيلا ، ومن هؤلاء خليل سركيس .

* * *

ولد صحفينا فى قرية من قرى لبنان سنة ١٨٤٢ ، ثم انتقلت أسرته إلى بيروت وهو فى الثامنة أو التاسعة من عمره ، والتحق بالمدرسة الأمريكية التى أخذ عنها العلم كثيرون من رجال التعليم فى نشأتهم الأولى ، وكان إلى جانب المدرسة مطبعة فخمة للأمريكيين فدفعه حسه فى نشأته الأولى إلى التردد على المطبعة ، متطلعاً ناظراً إلى هذا الفن الجديد على نفسه ، القريب إلى طبعه ،

يعقوب صرّوف

شخصية صحفية لا تزال تحيا فى آثارها الحية ، وستمضى فى ذمة التاريخ الصحفى علماً من أعلامه ومثلا من أمثلته المواتية وأسوة من الأسوات التى كانت سباقة فى وضع أصول التحرير ومذاهب الفن الصحفى سواء اتصل ذلك بالصحافة الأدبية أو الصحافة السياسية ، ولد صحفينا فى لبنان سنة ١٨٥٢ وكان من أوائل الفرقة المتقدمة التى أتمت دراستها فى « المدرسة الكلية السورية » اتصل بالمراسلين الأمريكان ليدرس لهم اللغة العربية : وأعجب به هؤلاء المرسلون فهيأوا لأستاذيته فرصة النضج والاستواء ، وأنشأوا مدرسة عالية فى طرابلس الشام تولى هو إدارتها ووضع لها المناهج ، ولم يمض طويلا فى هذه المدرسة بل انتقل بعد عام أستاذاً للعلوم الرياضية والفلسفية الطبيعية فى المدرسة الكلية السورية التى نشأته أحسن تنشئة ، وهنا أشبع رغبته كعالم فى الرياضة والطبيعة ، وأنتج أمثلة عملية كان هو صاحبها أو صنعها تلاميذه بتوجيهه وإشرافه ، ثم أردف هذا النشاط بنشاط جديد فى الكيمياء فجمع إلى أستاذية الطبيعة والرياضة أستاذية جديدة فى هذا العلم الذى أضناه وكاد يذهب ببصره ، وله فى هذه النواحى العلمية كتب تفردت بالعمق وتميزت بالقدرة واستحقت ثناء المشتغلين فى هذا الباب ، ولم يقصر المترجم نشاطه على العلوم وحدها خلال الإحدى عشر سنة التى درس أثناءها فى المدرسة الكلية بل ترجم كثيراً من الكتب الأدبية واشترك مع زميل صباه فارس نمر فى تأليف وترجمة مجموعة من الكتب فى سير الأبطال ومشاهير العلماء .

كان ذلك النشاط العلمى مقدمة لعمل صحفى أدبى له روعته إذ ذاك ولا تزال له روعته فى البيئات العلمية والأدبية فى مصر والشرق ، ذلك عمله فى

أبو السعود والمويلحى

ربطنا بين الشخصيتين لتشابه عميق بينهما، فكلاهما صاحب محاولة فى إنشاء الصحف الشعبية، أى الصحف التى يصدرها أفراد، فإلى زمنهما أى إلى سنة ١٨٦٧ لم تعرف مصر الصحافة العربية الشعبية، فقد صدرت قبل نشاطهما الصحفى ست صحف رسمية هى على التوالى «جرنال الخديو» و«الوقائع المصرية» و«الجريدة العسكرية» و«الجريدة التجارية الزراعية» و«يعسوب الطب» و«الجريدة العسكرية المصرية» وهى جميعاً صحف للدولة تقوم على إصدارها وتحريرها الحكومة المصرية.

فإذا جاء عصر إسماعيل، وهو عصر لا ينكر فضله على الصحافة والصحفيين، تهيأ أبو السعود وإبراهيم المويلحى للمنافسة فى هذه الناحية من النشاط الفكرى الرفيع، فقام أبو السعود أفندى بمحاولة إصدار مجلة شعبية، تميزت بأنها صحيفة «موالية» إن صح التعبير، موالية للنظام السياسى وصورة مطابقة لأغراضه، ثم قام فى نفس الحقبة إبراهيم المويلحى بمحاولة مشابهة، هى إصدار مجلة شعبية لم تحرص على الولاء الذى أثر عن مجلة أبى السعود فكانت صورة بديعة للصحافة الشعبية.

وكانت المحاولتان أول أساس لتاريخ الصحافة الشعبية فى مصر، ولذلك يؤكد مؤرخو الصحافة المنزهون عن الغرض أن هاتين المحاولتين حفظتا لمصر فضل السبق فى إنشاء الصحافة الوطنية، وكان المعروف من قبل أنها مهنة طرأت بإقبال الشآميين على مصر واحترافهم هذه المهنة دون المصريين. وحسب التاريخ أن يضع صحفيينا فى هذا المكان، حيث قامت على أكتافهما الأحجار الأولى من البناء الضخم الذى شيده المصريون لصحافتهم فيما بعد[1]

(١) راجع الفصل المكتوب عن نشأة الصحافة الشعبية فى كتاب «تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية» للمؤلف

آل تقلا

يرتبط تاريخ آل تقلا « سليم وبشارة وجبرائيل » بتاريخ الأهرام ، ويرتبط تاريخ (الأهرام) بما كانت عليه الحال فى مصر ، يوم فكر أصحاب الأهرام فى إصدارها ، فقد كانت الصحافة الحرة فى مصر ، صحافة لا هى شعبية ولا هى رسمية ، وهذه الصحافة على قلتها كانت تمثل الرأى العام المصرى كما كان يمثله مجلس شورى النواب ، هى صحافة موالية ، يدها ممدودة إلى منح الخديو إسماعيل وتصدر هادئة الطبع معتدلة المزاج فكان عطفه عليها سابغاً واحتفاؤه بها ملحوظاً وحدبه على محرريها ومصدريها مضرب الأمثال .

وقد كان للخديو إسماعيل أبلغ الأثر فى نهضتها ، ومساعداته الأدبية والمادية للقائمين عليها غير منكورة ، وقد فتح صدره وصدر بلاده للصحفيين الشآميين ، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف فى عهده من أهل الشام والبلاد المجاورة لها ، وقد جذبهم — إلى جانب صلات الأمير — هذا المتاع الفكرى الذى كان يحياه المصريون ، فكانت الحرية — حرية القول والكتابة — قد عزت فى بلاد الدولة العثمانية جميعاً حيث ضغطت الحكومة التركية وولاتها على حرية المطبوعات ، وكان الأدباء والأحرار يعاقبون على الهمس أو الإشارة بينما كانت مصر دون بلاد السلطنة جميعاً تتمتع بحرية منقطعة النظير إذا قيست بسوريا ولبنان ، وقد سمحت الحياة الفكرية بوجود صحافة تقرأ لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعاً ، وظروف الحياة المصرية بخديويها وأزماتها واضطراب الأفكار بكل جديد فى شتى ميادين

أديب اسحق

ولد أديب إسحق فى دمشق سنة ١٨٥٦ وتلقى فى الشام دراسته الأولى حيث تعلم اللغتين العربية والفرنسية، ثم جدت عليه ظروف قاسية، واستلزمته رقة حال الأسرة التى كان يعولها أن يعمل موظفاً فى الجمرك وهو فى دور المراهقة؛ ثم أخذت حياته تتطور من ضيق إلى ضيق حتى قضت أمور العيش أن يطوف ببيروت ويقضى فيها ردحاً من الزمن، وصل فى أثنائه نفسه بأدبائها، ولقى منهم وبينهم خيراً وعلماً وحدبا على شبابه اليافع وتفكيره المعتدل ومزاجه الأدبى.

وشغفته حياة الشعر والأدب وهو أديب باسمه وطبعه، وكان يميل إلى الأعمال الصحفية فتولى تحرير جريدة «ثمرات الفنون» وهى من أمهات صحف بيروت وكانت تديرها شركة ساهم فيها عيون الأدباء فى لبنان، ثم انصرف عنها إلى شقيقتها «التقدم البيروتية» يوليها من نشاطه وفضله شيئاً موفوراً، وله فى «ثمرات الفنون والتقدم» فصول ممتعة وقصائد من روائع الشعر، وشغل نفسه بالعمل الصحفى ووظف قلمه بجانب الصحافة فى التأليف فأنشأ كتاباً سماه «نزهة الأحداق فى مصارع العشاق» ويمتاز فى كتابه هذا وفى فصوله السابقة الذكر أنه كان جديداً فى هذا الميدان، له أسلوب لم يعتده معاصروه لافى سورية ولا فى مصر، وكان لنشاطه الأدبى أثر ظاهر فى الحياة الأدبية فى الشام قربه إلى أدبائها ووضعه من نفوسهم موضع التكريم، واتصل آخر الأمر بجمعية زهرة الآداب وأصبح فيها من الأعضاء المبرزين، وقدره رئيسها البستانى حق قدره؛ حتى إذا أقبلت سنة ١٨٧٥ عمل مع جماعة من الأدباء فى تصنيف مؤلف كبير سموه «آثار الأدهار»[1].

---

(١) فيليب دى طرازى. تاريخ الصحافة العربية ح ٢ ص ١٠٥ — ١٠٨

عبد الله النديم

كان فى ريعان شبابه لما ذاع اسمه وعرف الناس فضله ، ولم يكن فى مقدوره أن تمر محن مصر فى نهاية عهد إسماعيل وقبيل الاحتلال دون أن يكون له فيها تاريخ ، وهو صورة من صور الثورة العرابية البديعة ، لم تكن نشأته على يسار ، ولم تكن دراسته على انتظام ، فهو فقير يوم ولد ، أديب لا يستقيم مع الدرس المنظم ، فلم يقرأ أو يتأدب بأساليب المدارس والمعاهد بل مضى فى دراساته فريداً بعد تلمذة قصيرة الانتظام ، ثم أخذ يكتب ويشعر ويزجل وهى كتابات لم تخل من مرح أو استخفاف بحوادث الزمن ؛ ولم تكن هذه الفنون فى أول الأمر مهنة يكتسب منها صاحبها فاضطر إلى أن يعمل (تلغرافيا) فى عاصمة القليوبية وفى القاهرة فيما بعد إلى أن أحفظه خليل أغا صاحب الكلمة فى ذلك العصر بغلظته وقسوته فراح مرتحلا هنا وهناك يعلم أولاد الأعيان إلى أن نزل بمسقط رأسه أخيراً ؛ وهى مدينة الاسكندرية وهنا انضم إلى الساخطين من أنصار مصر الفتاة ، ثم اعتزل سياسة الخفاء ووصل حباله بحبال أديب أسحق وسليم نقاش وكتب فى صحيفتيهما «مصر والتجارة» وألف القصص التمثيلية ، وأشاع فى بيئة الفقراء حسا وروحا بإدارته « الجمعية الخيرية الإسلامية » ومدرستها التى أنشئت لتعليم الأيتام وأبناء المعوزين [1]

ثم يعمل صحفينا فى المهنة المحببة إلى نفسه ويأتى فى تاريخ الصحافة العربية بجديد ، فينشىء صحيفته « التنكيت والتبكيت » فى ٦ يونيو ١٨٨١ فى حجم

---

(١) لدراسة تاريخ عبد الله النديم الصحفى ، راجع فى ذلك «تطور الصحافة المصرية» للمؤلف ص ١٢٦ و١٢٧ و١٢٨ و١٥٤ .

مصطفى كامل

يمثل مصطفى كامل الزعيم المصرى الشاب طورا من أطوار الصحافة العربية فى مصر كما تمثل حياته فى الصحافة طورا اجتماعياً جديداً ، فقد كان العهد الذى عاش فى أعطافه مصطفى كامل يرى الصحافة « حرفة دنيئة » وهو رأى صدر عن هيئة رسمية مصرية وجاء فى حكم من أحكام القضاء الشرعى ، ثم استكمل مصطفى زعامته عن طريق الصحافة وبها شق طريقه إلى الخلود زعيما لجيله وأسوة حسنة على مدى الأجيال .

ولد صحفيا فى سنة ١٨٧٤ وأتم دراسته الابتدائية كلداته من أبناء جيله ثم تخير دراسته العليا فى مدرسة الحقوق ، واختارها كما يقول « لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأمم والأفراد » وبانت ميوله الصحفية وهو تلميذ فأنشأ مجلة مدرسية : وهو أول لون من ألوان النشاط الصحفى لتلميذ فى مصر وقد سماها « المدرسة » وكان شعارها « حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك » وهو اتجاه يبين عن صحفى يعرف رسالة الصحافة ويقدر مكانتها فى حياة الشعوب

ثم يفرغ الكاتب من دراسة القانون ، ويفزع إلى الصحافة المعاصرة يودعها من آماله وآياته الشىء الكثير ، وهو هاو حقاً من هواة الكتابة والتحرير غير أنه مدفوع بهاتف من نفسه ، وهو هاتف يؤمن بالصحافة ويرى فيها وسيلته الحسنة لأداء الرسالة الوطنية على أحسن الوجوه ، وكان العهد قد خلا من الصحف التى تعجب الفتى الصحفى المتدفق حماسة ووطنية ، غير أنه وجد ضالته فى صحيفة الأهرام سنة ١٨٩٥ وكانت الأهرام منذ سنة ١٨٨٤ تحمل